محاولة أولى في اطروحة : شرق الاردن الفلسطينية

عصام سخنيني

في الاساس كانت الارض في القضية الفلسطينية هي محور الصراع . لمن تكون الارض ؟ هذا هو الجوهر . واستطرادا فان الارض في الثورة الفلسطينية المعاصرة هي مسألة النضال ، ذلك ان تحرير الانسان الفلسطيني من لواجم نموه القومي والاجتماعي لا يمكن فصله الا اعتسافا عن معنى تحرير الارض اولا . وتاريخيا ، عندما نزعت الهوية الفلسطينية عن الارض الفلسطينية في العام ١٩٤٨ انتهك الكيان الوطني للشعب الفلسطيني . وعندما أعيد بناء هذا الكيان بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وعزز هذا البناء باعطاء المضمون الثوري له ، بدخول فصائل الثورة في اطار المنظمة ، ظل التعبير عن الكيان تعبيرا مؤسسيا مفرغا من محتوى الارض . غير ان احدى نتائج حرب العام ١٩٧٣ كانت انها أجرت تحولا أساسيا في التفكير الكياني الفلسطيني سمته الاساسية هي ارتداده الى الجذور في هذه المسألة تحديدا ، وقد تمثل ذلك في ارتباط الكيان بالارض وهو ما جرى التعبير عنه « باقامة السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية التي يمكن انتزاعها من العدو »

ان هذه الحقيقة ميزت الفعل النضالي الفلسطيني حتى الآن بأنه ثورة زاحفة — ان جاز التعبير — من « الخارج » الى « الداخل » ، من خارج الارض المعنية بالتحرير الى الارض ذاتها . ولان الثورة في الاصل لم تكن ثورة — في — المجتمع وانما ثورة موجهة لتحرير الارض فان ولادتها في « الخارج » ، في المهجر ، لم تكن لتنتقص من ثوريتها . وهي ان كانت عملت جهدا لتثوير « الداخل » على الرغم من الظروف الصعبة التي عاكست هذا التثوير (الكبح الشديد وسيطرة العدو من جانب ، وحالة الاسترخاء الاقتصادية النسبية لجماهير الداخل من جانب آخر) فان الثورة ظلت في حجمها الاساسي خارج الارض المستهدفة بالتحرير ، ولكنها استولدت أساليب قتالية تتناسب مع هذه الحقيقة من جانب وتنسجم مع معنى « الثورة لتحرير الارض » من جانب آخر .

في ضوء هذا كان من الطبيعي أن تشتد الثورة قواعد انطلاق لها — عسكرية وسياسية — في الاقطار العربية المجاورة لفلسطين . وبعد هزيمة العام ١٩٦٧ كانت شرق الاردن أكثر الاقطار العربية جذبا في هذه الناحية . ولم يكن ذلك اختيارا ذاتيا أو عرضيا ، وانما كان بالتأكيد محكوما بجملة عوامل موضوعية : ففي شرق الاردن تعيش غالبية الفلسطينيين وهم المعنيون اولا بالثورة وهم مشتلها الخصب . ومن جهة ثانية هي الارض التي تتاخم القطاع الاطول من الوطن الفلسطيني . وثالثا فان الهزيمة الحزيرانية جعلت النظام فيها — بالمقارنة مع القوى العربية الاخرى — أوهى من ان يتصدى للصعود الثوري والممارسات التي استتبعها . وكانت الثورة في بنائها قواعدها في شرق الاردن منسجمة تماما مع معنى الثورة الزاحفة من الخارج الى الداخل والذي